ان تزيغ في صنعته عن الصواب وان لا يحول بينه وبين عمله احد من اعدائه ووحينا وانا نوحي اليك ونلهمك كيف
تصنع عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر ولا تخاطبني في
الذين ظلموا ولا تدعني في شان قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك انهم مغرقون انهم محكوم عليهم بالاغراق
قد وجب ذلك وقضي به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى الكف كقوله يا ابرهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم
اتيهم عذاب غير مردود ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ومن عمله السفينة وكان يعملها في برية
بهيماء في ابعد موضع من الماء في وقت عز الماء فيه عزة شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت
نجارا بعد ما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم يعني في المستقبل كما تسخرون منا الساعة اي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم
اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة وقيل ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم فيما انتم عليه
من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه فانتم اولى بالاستجهال منا او ان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا
تستجهلون الا عن جهل بحقيقة الامر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق وروي ان نوحا عليه
السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلثون
ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلثة بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن
الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل جسد ادم معه
وجعله معترضا بين الرجال والنساء وعن الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة وقيل ان الحواريين
قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب
فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب
بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن راسه وقد شاب فقال له عيسى اهكذا اهلكت قال
لا مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها
الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلث طبقات طبقة للدواب والوحوش وطبقة
للانس وطبقة للطير قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا من يأتيه في محل النصب بتعلمون اي فسوف
تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ويحل عليه
حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه عذاب مقيم وهو عذاب الاخرة حتى هي التي يبتدأ بعدها
الكلام دخلت على الجملة من الشرط والجزاء فان قلت وقعت غاية لماذا قلت لقوله ويصنع الفلك اي
وكان يصنعها الى ان جاء وقت الموعد فان قلت فاذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من
الكلام قلت هو حال من يصنع كانه قال يصنعها والحال انه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه فان قلت
فما جواب كلما قلت انت بين امرين اما ان تجعل سخروا جوابا وقال استئنافا على تقدير سؤال سائل او
تجعل سخروا بدلا من مر او صفة لملأ وقال جوابا واهلك عطف على اثنين وكذلك ومن امن يعني واحمل
اهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من اهله من سبق عليه القول انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك
الا للعلم بانه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته تعالى الله عن ذلك قال الضحاك اراد ابنه وامراته الا قليل
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا
عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامراة واولاد نوح سام وحام ويافث
ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء يجوز ان يكون كلاما واحدا وكلامين فالكلام الواحد
ان يتصل بسم الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت
ارسائها

ارسائها اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف
كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز ان يراد مكانا الاجراء والارساء وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل
او بما فيه من ارادة القول والكلامان ان يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة من مبتدأ وخبر مقتضبة اي بسم الله
اجراؤها وارساؤها يروى انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست
ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ مجراها
ومرساها بفتح الميم من جرى ورسا اما مصدرين او وقتين او مكانين وقرأ مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم
الفاعل مجرورين المحل صفتين لله فان قلت ما معنى قولك جملة مقتضبة قلت معناه ان نوحا عليه السلام امرهم
بالركوب ثم اخبرهم بان مجريها ومرسيها بذكر اسم الله او بامره وقدرته ويحتمل ان يكون غير مقتضبة بان يكون في
موضع الحال كقوله وجاؤوا اباهم عشاء يبكون فلا يكون كلاما براسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب
هذه الحال عن ضمير الفلك كانه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة بسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين ان ربي
لغفور رحيم لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم لما انجاكم فان قلت بم اتصل قوله وهي تجري بهم قلت بمحذوف
دل عليه اركبوا فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم اي تجري وهم فيها في موج كالجبال
يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها فان قلت الموج ما يرتفع فوق الماء عند
اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والارض وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة
فما معنى جريها في الموج قلت كان ذلك قبل التطبيق وقبل ان يغمر الطوفان الجبال الا ترى الى قول ابنه ساوي
الى جبل يعصمني من الماء قيل كان اسمه كنعان وقيل يام وقرأ علي رضي الله عنه ابنها والضمير لامراته وقرأ محمد بن علي
وعروة بن الزبير ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة سالته
فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه ان ابني من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه واهل الكتاب لا يختلفون في انه
كان ابنه فقال ومن ياخذ دينه من اهل الكتاب رحمه الله كعمر بن ابي سلمة لرسول الله وان يكون لغير رشدة وهذه
غضاضة عصمت منها الانبياء عليهم السلام وقرأ السدي ونادى نوح ابناه على الندبة والترثي اي قال يا ابناه والمعزل
مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان في معزل عن دين ابيه
يا بني قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك
يا بنيا او سقطت الياء والالف لان الراء بعدها ساكنة الا من رحم الا الراحم وهو الله او لا عاصم اليوم من الطوفان
الا من رحم الله اي الا مكان من رحم الله من المؤمنين وذلك انه غفور رحيم كقوله ان ربي لغفور رحيم وذلك انه لما جعل الجبل
عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني
السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله كقوله ماء دافق وعيشة راضية وقيل الا من رحم استثناء منقطع
كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقرئ الا من رحم على البناء للمفعول الارض والسماء
بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله يا ارض
ويا سماء ثم امرهما بما يؤمر به اهل التمييز والعقل ابلعي ماءك واقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات
والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كانها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته
وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف
دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم امره كان المأمور به مفعولا لا حبس ولا ابطاء
والبلع عبارة عن النشف والاقلاع الامساك يقال اقلع المطر واقلعت الحمى وغيض الماء من غاضه اذا نقصه وقضي الامر

Copyright King Saud University